

من رسائل القديس صفرونيوس القصيرة

الطريـــــق الملوكـــــي

من رسائل القديس

الأب صفرونيوس القصيرة

www.coptology.org

١– متى تجوز الراحة ومتى يحق لنا أن نتعب؟

لم يضع الآباء الذين سلَّمونا حياة الرهبنة مقياساً عاماً للكل، وإنما أوصونا بالاعتدال؛ لأنه الطريق الملوكي الذي يخلِّص كثيرين.

٢– بالنسبة للأخوة الذين يحفظون قانون المزامير، كثرة الصلوات وإطالة الوقوف تشحذ الإرادة وتقوي العزم. لكن مَن كان جسده ضعيفاً ولا يقوى على الوقوف فليجلس. أمَّا إذا تشتَّت فكره واستحالت عليه الصلاة، فليسجد ويعود إلى الوقوف. فقد استلمنا من الآباء الذين سلكوا نفس الطريق أن الإنسان يصلي واقفاً بسبب الكسل؛ لأن الوقوف انتباهٌ ويقظة.

٣– إذا حلَّ تعبُ الجسد بنا، وتعذَّر علينا أن نقف، فلنجلس أو ننام، ولو قبل الوقت؛ لأن النومَ راحةٌ للجسد، ومتى نام الإنسان؛ وَجَدَ في نومه قدرةً على الصلوات المبكرة.

٤– الذين يقاتَلون بعدم الرغبة في الصلاة، يحسُنُ بهم أن يمارسوا سجدات كثيرة، وطلبات قصيرة، ومزامير أقل، وأن ينشغلوا بقراءة الكتب الإلهية؛ لأن البحث في كلمة الله ينشِّطُ العقلَ ويجدِّدُ إرادة الإنسان. وإن وجدوا أن الأمرَ طال بهم، وصاروا مثل مركبٍ بلا شراع، فالخروجُ من القلاية خطرٌ، والانشغالُ بالأحاديث مع الأخوة أكثرُ خطورةٍ.

٥– القلب الذي يجد تعزيةً وسلاماً في الحديث مع الأخوة، ولا يجدها في كلمة الله، هو مثل طفلٍ صغير يكاد يغرق وهو لا يدري.

٦– علينا باليقظة؛ لأنها تعيدنا إلى الاتزان وإلى الصبر، وترجعنا إلى طريق الراحة الحقيقية.

٧– فترات التعب الشديد التي تجعل أفكارنا مثل حجارةٍ ثقيلةٍ هي علامةٌ على أننا نحتاج إلى الصمت والراحة الجسدية، فمتى صرنا في مثل هذه الحالة، فلننم لأن رحمةَ الربِّ أعظمُ من جهادنا.

٨– على كل إنسان أن يتبع ما تطيقه نفسه، وهو ما لا يتسبب في ارتباك حياته؛ لأن المرتبك –ولو هو في الملكوت، ومع الذين قاموا من الأموات– لا يجد سعادةً وفرحاً.

٩– لقد دعانا الله برحمته الفائقة أن نكون آنيةً مقدسةً لخدمته؛ لذلك لا يجب أن نتطلع إلى القمم العالية ونشتاق إليها كما لو كان فيها خلاصنا، وإنما إلى محبته وصبره علينا؛ لأن صبر الله وحده هو "الذي يقودنا إلى التوبة" كما قال الرسول.

١٠– الاعتدال في الأكل وبساطة الملبس والسير (المشي) والسجود يحفظ الجسد هادئاً. لكن هدوء الجسد ليس بتولية، وإنما هدوء القلب وفرحه بالروح القدس هو البتولية الحقيقية؛ لأن والدة الإله لم تحبل بالابن الكلمة من زرع بشر، وهي صارت مثالاً لكل الذين اقتنوا البتولية بالحَبَلِ بالابن الكلمة، أي سكناهُ فيهم ليس حسب الجسد، بل حسب الروح.

١١– هدوءُ القلبِ هو بداية الحَبَلِ، أمَّا التسليم، فهو أوجاع الولادة. ومتى ولدنا، أي تغيَّرت حياتنا وأثمرت لله، صارت الثمرة في حاجة إلى لبن المحبة العديم الغش الذي يعطيه الروح القدس للذين يطلبونه.

سلامٌ من الرب.